الخطاب القرآني - دراسة لبنية الصوت في سورة البروج -
مقاربة في ضوء المنهج البنيوي الإحصاء والدلالة

الدكتورة أسماء بن عيسى
benisafasmaa@gmail.com
طالبة الدكتوراه سعاد مهيديد
souad46mehidid@gmail.com
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية ـ جامعة بلحاج بوشعيب لعين تموشنت ـ الجزائر

Quranic Discourse - A Study on the Phonetic Structure of Surat EL-Buruj—a Structuralist Approach Based on Statistics and Semantics

Dr. Asma bin Issa
Doctoral student Souad Muhaidid
Faculty of Letters , Languages and Social Sciences , University of Belhadj Bouchaib , Ain Temouchent , Algeria

الملخص:

نروم من خلال هذه الورقة البحثية تفعيل المقاربة اللسانية البنيوية، في فك شفرة الخطاب القرآني لآي البروج، عن طريق رصد الملامح الصوتية الفونولوجية، التي ترسم معالم البناء اللغوي للسورة رسما فونولوجيا، يكشف عن توافق تشكيلي دلالي، بين معطيات المعرفة الصوتية و السياق العام، الذي سيقت لأجله.

ولئن نطمح إلى تحقيق المنشود، فإن دراستنا المتواضعة، ستنهج سبيل" المنهج الإحصائي الرياضي" الدقيق، من أجل إيجاد عقلنة علمية، نربط من خلالها أواصر المقول الشرعي بمفاتيح العلوم الدقيقة.

فالرياضيات، من أكثر العلوم جاذبية، وإثارة للعقل البشري على مرّ العصور، والتي أسهمت في تطوير المعرفة العقلية الإنسانية؛ اعتمادا على المنطق، في بلورة نظم معرفية متكاملة، تتناقلها الأجيال عبر التاريخ.

ومن ثم لا ضير في معانقتها للدرس اللساني، الذي لا يخفى على أيّ باحث في مجال اللغة مدى الدقّة، التي يتميز بها؛ من حيث المنهج، القائم على الملاحظة والافتراض؛ الناتج عن الاستقراء، وتليه الدقة في صياغة القوانين اللسانية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني، بنية الصوت، المنهج البنيوي، الإحصاء، الدلالة.

Abstract:-

We attempt through this research paper to deploy the linguistic structuralist approach in deciphering the code of Quranic discourse in El-Buruj by monitoring the phonological acoustic feature that sketch the linguistic basis of the surah phonologically. The latter unveils semantic and morphological compatibility between phonetic data and the general context for which it was intended.

To achieve our goal, our humble study relies on the statistical mathematical approach—characterized by accuracy—in order to come up with a scientific rationalization that could allow us to link that which stems from Sharia with exact science.

Mathematics is one of the most attractive sciences and intriguing to the human mind throughout the centuries. It has contributed to the development of human knowledge based on logic through the conceptualization of integrated knowledge paradigms that were passed down from one generation to the other through history.

Furthermore, there is evidently no harm in using it—mathematics that is—in the field of linguistics; a field which is deemed by most researchers in languages as highly accurate when it comes to its methodology. The latter is based on observation and hypothesizing born out of induction and followed by accuracy in crafting linguistic rules.

Key words: Quranic discourse, Phonetic structure, Structuralist approach, Statistics, Semantics.

المقدمة:

تستمدّ ألسنة العالم قيمتها من مجموع السمات الصوتية التّي تميّزها عن غيرها، سواء أفراد الفصيلة اللغوية الواحدة، أو الأسر اللغوية المتبانية.

بيد أنّها تأتلف في طبيعتها التكوينية من الوحدة الصوتية الصغرى إلى التركيب، ما يجعل الدرس اللساني العام لا يخرج عن ثلاثة مستويات متكاملة؛ هي المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى التركيبي.

وينضاف إليها المستوى الدلالي، وذلك إن جاز لنا تصنيفه، باعتبار المعنى أساس كل المستويات، إذ لا يمكن فهم الطبيعة الحقيقية للغة إلّا من خلاله.

ومما لاشكّ فيه أنّ اللغة العربية خالدة خلود الدهر، وهي من اللغات التي تتمتع بالثراء اللغوي، كما هو شاخص في اللسان المتكلّم بها، فضلاً عن النص القرآني المقدّس، الذي يحتويها ماحذا بجهابذة الأمة الحفاظ عليها تقعيدا وتصنيفا.

وما يميّز الفكر العربي القديم أنه فكرٌ موسوعيّ، ينهض من خلاله كل علم على علم آخر مهما بدا التباعد بين هذه العلوم في العصر الحديث، إلا أنّه ليس بمقدورنا دراسة اللغة دفعة واحدة، وإنّما برؤية تجزيئية؛ بغية التعمّق في جزئياتها، واختلاف أبعادها.

ولذا قد انبثقت الحاجة إلى التقسيم؛ وذلك قصد تسهيل الدراسة، والتخصّص في مستوى أو جانب دون غيره، في ظل المطلب العصري السائد؛ والذي هو تشعّب العلوم، وإيغالها في الدقّة.

ومن ذلك المستوى الصوتي، الذي تختص به هذه الدراسة، إذ يمثل حقلا معرفيا قائما بذاته، الذي يعنى "بالوصول إلى مجموعة من القواعد لها صفة القوانين الثابتة تتحكم بتصرفات الوحدات الصوتية(الفونيمات)، وتحليل النظام الصوتي بدراسة العلاقات المختلفة بين الوحدات الصوتية"[١].

وذلك في إطار بنيوي تجريدي، ينطوي على أهمية منهجية، في التعامل مع اللغة أو النص اللغوي، بوصفه هيكلا، ينسج خيوطه التشابكية المتراصة من الداخل، بعيدا عن أي

ظروف وملابسات خارجية مؤثرة.

ومن ثم نقف إزاء حدود التساؤل المعرفي المؤسس، الذي يأخذ بعين الاعتبار النموذج التطبيقي، مفاده: **إلى أي مدى يسهم الصوت، في فك شفرة الخطاب القرآني بنيويا**؟. هذا - إذن -ما نسعى إليه في ثنايا هذه الورقة البحثية.

وجدير بالذكر أننا، سنقسم العمل إلى جانبين من الطرح، أحدهما نظري، يشمل مفهوم البنية والمنهج البنيوي، وكذلك الخطاب والخطاب القرآني، أما العملي التطبيقي، فيضم التعريف بالسورة، والدراسة الصوتية الاحصائية الدلالية.

أولاً: المهاد النظري:

سنتناول في هذا الجزء الأول التنظيري بعض المفاهيم المهمة، التّي هي بمثابة مفاتيح للدراسة، إذ إن تناولها أساس يبنى عليه ما يتبعه من خطوات لاحقة.

١ـ في مفهوم البنية والمنهج البنيوي:

مصطلح البنية واسع له مفاهيم عديدة، تشمل مجالات معرفية متباينة، حيث تأثر كل دارس بمجال تخصصه، ومن ثم يشكل محور التقاء دراسات مختلفة، التي تتنوع بين العلوم الصورية والتجريبية، والعلوم الإنسانية، والألسنية، والفلسفة وغيرها.

ولعل ما يعنينا منها في هذا المقام المعرفي هو البنية في الدرس اللساني، الذي عرف تثبيت هذه الكلمة في أول مؤتمر للألسنيين بمدينة لاهاي سنة ١٩٢٨، ذلك أن دي سوسيير لم يستعملها، وإنما استعمل النسق.

فقد استعملها في المحفل "تروبتسكوي"، ليعرف مجال الفونيم، وذلك" بواسطة تحديد مكانه في التنظيم الفونولوجي، ولا يمكن أن يكون ذلك ممكنا، إلّا إذا أخذنا بعين الاعتبار بنية هذا التنظيم..."(٢).

فالبنية – إذن – في اللسانيات، قد ارتبط توظيفها الأول بمقابل التنظيم، وفي هذا المساق ينحو الدانماركي هلمسلف، ليؤكد على أن" اللغة تنظيم تتحدد فيه أجزاءه بعلاقة تماسك، هذا التنظيم ينظم وحدات اللغة"(٣).

كما أنها تشتغل في إطار المنهج البنيوي، الذي يسند إليها تسميةً وكيفيةً، باعتماد مبدأ الاستقلال، في دراسة اللسان في ذاته ومن أجل ذاته.

وبإسقاط هذه المعطيات على الخطاب / النص المكتوب، بوصفه مدونة لغوية، فإن الدراسة لا تخرج عن هذا النسق المعرفي، بما في ذلك علم الأصوات، الذي أضاف إلى علم اللغة البنيوي أبحاثا جديدة.

فالأصوات تؤكد النظرية البنيوية نفسها، من" أن النسق الصوتي ليس مجموع العناصر، ولكن ما يوجد بينها من علاقات"[٤].وذلك على غرار المماثلة، والمخالفة، والإدّغام، وغيرها من الظواهر الصوتية.

هذا فضلا عن كونها تجسد الشكل البنيوي بالانصهار مع التركيب، ضمن ما يعرف بعلم الأصوات الوظيفي، أو التشكيلي، وكذلك مع المستوى الأهم، بالاستناد إلى معطيات المكتوب في الربط اللساني الدلالي.

٢ـ في مفهوم الخطاب والخطاب القرآني:

تستلزم الدراسة أيضا الوقوف عند ماهية الخطاب وقفة مختصرة، ونوعه المتمثل في الخطاب القرآني، حيث يراد بالخطاب زخماً من المفاهيم، لارتباطه بعدة ميادين كالأدب والسياسة، والإعلام وغيرها.

ولعل أبرز تلك الحدود المعرفية، التي تلم بالمصطلح هو تعريف ميشال فوكو، بأنه" تلك الشبكة المعقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية، التي أعيد إدماجها في عمليات تحليل الخطاب، الذي يحمل بعدا سلطويا من المتكلم، بقصد التأثير في المتلقي، مستغلا في ذلك كل الظروف الاجتماعية والثقافية السياسية"[٥].

فالخطاب إذن هو ما ارتبط بالسياق، فالصلة بينهما هي صلة التابع بالمتبوع؛ لأن الخطاب، يتبع سياقه ضمن عملية الفهم القرائي.

ومن ثم، فإن المعنى التأويلي لخطاب ما لا يتحدّد إلا بسياقٍ يؤطّره، كما أنه لا يمكن الحديث عن السياق دون خطابٍ، يحمل أبعادا دلالية، تستفزّ المتلقي، الذي تدفعه لسبر أغواره العميقة.

فالمنطلق من الخطاب الذي يشكل خليّة تواصلية ورسالة مشفّرة تحتوي مرجعيات خاصة يسهم القارئ في إجلائها عبر تمثّله للسياق، مما يحدد مسالك القراءة و يكشف عن طبيعة المقروء ومقصديته.

وعن الخطاب القرآني – موضوع الدراسة –، فهو خطاب القرآن الكريم، بتنزيل من العزيز الحكيم، له مدلولاته وإشاراته، التي لا تنتهي، معصوم من التحريف والتبديل، كما أنه خطاب الناس عامة. ولكل خطاب فيه أهدافه ومقاصده، التي يستمدها من مجموع سياق آياته الداخلي والخارجي، بناء على قصص الأنبياء وأحداث أقوامهم.

ثانياً: الإطار التطبيقي:

نحاول من خلال هذا العنصر رصد الملامح الصوتية الدلالية للخطاب القرآني النموذج، داخل قالب بنيوي لغوي، باعتماد المنهج الإحصائي، الذي يضفي على الدراسة طابع العلمية.

١ـ بين يدي السورة:

سورة البروج مكية، ترتيبها الخامس والثمانون في المصحف الشريف، في الجزء الثلاثين منه، والربع الرابع، والحزب التاسع والخمسين، كما يبلغ عدد آياتها اثنتي وعشرون آية، نزلت بعد سورة الشمس.

والظاهر أنها تسمى" سورة السماء ذات البروج"، فعن أحمد عن أبي هريرة " أن رسول الله ﷺ كان يقرا في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج"(٦).

أما عن سبب النزول، فقد ارتبط كسائر السور بالقصص، وما فيها من عبر حتى يستفيد منها المسلمون، حيث عرضت قصة أصحاب الأخدود، كما عرضت قصة فرعون وقومه الذي كذب الرسل، وكذب وجود الله فعاقبه الله أشد العقاب.

فالغرض منها – إذن – هو تثبيت عقيدة المسلمين، ومنع تأثرهم بالفتن، بعدما تعرضوا له من أذى وظلم، وأقسى العذاب على يد كفار قريش، ومن ثم لكي يتعلم المسلم الصبر، واحتساب الجزاء عند الله تعالى.

٢ـ الدراسة الصوتية للسورة:

سنقوم في هذه الجزء العملي، بفك شفرة الملامح الصوتية من صوامت وصوائت، في علاقتها بالسياق العام للسورة النموذج، وما تحمله من دلالات، فضلا عن المقطع الصوتي التشكيلي.

١- الصوامت: الإحصاء والدلالة:

- **فونيم الهمزة:**

تواتر في السورة ٢١ مرة، وهو ذو خاصية مخرجية أساسية هي الحنجرية[٧]، فضلا عن صفات أخرى ينماز بها كالانفجار والترقيق[٨]، أما باقي الصفات فمختلف فيها بين القدامى القائلين بالجهر عند النطق بالهمزة، في مقابل المحدثين، الذين قال بعضهم أنها مهموسة، وبعضهم الآخر متوسطة بين الهمس والجهر.

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الصفة المخرجية الحنجرية سياق الآيتين الخامسة والسادسة، التي وردت فيها، بقوله تعالى ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ* إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾"[٩].

فالحنجرة تقع في أقصى مخرج في الجوف كما عبر عن ذلك سيبويه[١٠]، ومن ثم التوافق بين الجوف- كميزة موضعية -مع مقام المؤمنين، وما لحقهم من الملك الظالم، الذي حفر الأخاديد، في عمق الأرض، وأشعلها بالنار، وألقى فيها كل آمن بالدين الجديد.

فهم قعود في جوف الأخدود ملازمون لناره، إذ كما يقول الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، واصفا مقام، ذلك المشهد العظيم من التعذيب، بأنها" نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس"[١١].

- **فونيم الباء:**

جاء في السورة ١٤ مرة، وهو ذو خاصية مخرجية أساسية هي الشفوية[١٢]، فضلا عن صفات أخرى ينماز بها كالترقيق والانفجار[١٣]، وكذلك الجهر[١٤].

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الصفة

المخرجية الجهر، الآية التاسعة عشر ذات الأسلوب الخبري، الذي جاء في سياق تبليغ النبي محمد ﷺ خبر مجموع الكفرة المكذبين للأنبياء.

فالآية، في قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾[١٥] قد ضمّت باءين، لتجهر بالحقيقة، بالاستناد إلى ما يسبقها، إذ مفاد ذلك" بل الذين كفروا في تكذيب متواصل كدأب من قبلهم"[١٦]، إذ خص الله تعالى فرعون وثمود على سبيل التمثيل.

ووجه الدليل كما يقول القرطبي(ت٦٧١هـ) أنّ " ثمود في بلاد العرب، وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين. وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين في الهلاك، فدلّ بهما على أمثالهما في الهلاك. والله أعلم"[١٧].

- **فونيم التاء:**

تواتر في السورة ١٤ مرة، و هو ذو خاصية مخرجية أساسية هي اللثوية[١٨]، فضلا عن صفات أخرى ينماز بها كالانفجار[١٩]، وكذا الهمس[٢٠].

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الصفة المخرجية الانفجار الآية العاشرة، لتوافق بذلك سياق عدم التوبة، الذي وردت في فعله مسبوقا بنفي، بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[٢١].

فمصير الكافرين المجرمين، من غير التائبين، لن يتم إلّا بعد انفجار اليوم الموعود، أي يوم قيام الساعة، الذي تشخص فيه الأبصار لعظمة وهول الأحداث، بقوة انفجارية، تزعزع القلوب والأسماع.

- **فونيم الجيم:**

ورد ٧ مرات في السورة، وهو ذو خاصية مخرجية أساسية هي الغارية وصفات أخرى تجتمع في كيفية نطقه، التي تتم عن طريق "اتصال مقدم اللسان بمنطقة الغار اتصالا محكما يعقبه وقفة قصيرة يليها تسريح بطيء للهواء، مما ينتج صوتا يجمع بين الانفجار والاحتكاك"[٢٢].

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الصفة المخرجية الغارية الآية العاشرة كذلك، ذلك أن الغار كمخرج صوتي يحيل على التجويف العميق داخل الفك في مقدم الفم.

وعليه ليتناسب هذا الوصف، مع سياق الآية الحاملة لفونيمه، وتحديدا مع كلمة جهنم، وبئس المصير، الذي يعد مآل الكفرة المعذبين للمؤمنين، الذين يذوقون عذاب الحريق، ليتحولوا إلى حطام ورماد في عمق النار.

- **فونيم الحاء:**

تواتر في السورة ٩ مرات، و هو ذو خاصية مخرجية أساسية هي الحلقية[٢٣]، فضلا عن صفات أخرى ينماز بها كالهمس والاحتكاك والترقيق[٢٤].

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الصفة المخرجية الحلقية الآية الرابعة، بقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[٢٥]، ذلك أن الحلق، علاوة عن كونه مخرجا لأصوات لغوية خاصة، فهو يستغل كفراغ رنّان يضخم بعض الأصوات.

وعليه، فإنّ ميزته، توافق لفظ" أصحاب"، إذ يكمن وجه الدلالة في التضخيم، نظرا لهول الحدث، حيث تؤكد توافقية الفونيم الحاء مع دلالة السياق كل من ألف المد، أي الصائت الطويل، الذي يتجانس معه.

بالإضافة إلى الفعل قتل وما يحمله من دلالة على قوة المشهد، فكما يقول سيد قطب رحمه الله، معبرا عن ذلك" وهي كلمة تدل على الغضب. غضب الله على الفعلة وفاعليها. كما تدل على شناعة الذنب الذي يثير غضب الحليم، ونقمته، ووعيده بالقتل لفاعليه"[٢٦].

- **فونيم الخاء:**

تواتر في السورة مرة واحدة، وهو ذو خاصية مخرجية أساسية هي الطبقية[٢٧]، فضلا عن صفات أخرى كالهمس والاحتكاك والترقيق[٢٨]، والاستعلاء.

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الصفة

المخرجية الاحتكاك الآية الرابعة كذلك، لاسيما وأن الفونيم ارتبط بلفظ الأخدود، وهو موطن احتكاك المؤمنين بالنار.

- **فونيم الدال:**

تواتر في السورة ١٩مرة وهو ذو خاصية مخرجية أساسية هي الأسنانية اللثوية[٢٩]، فضلاً عن صفات أخرى كالانفجار والجهر والترقيق[٣٠].

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الصفة المخرجية الترقيق الآية الرابعة عشر، حيث تكرر الفونيم مرتين في لفظ الودود، ليوافق سياق أوصاف الخالق جلّ جلاله.

فالترقيق، يحيل افتراضا ومجازا على رقة الله عز وجل، فهو كما جاء في بيان تفسير الآية وما تحيل عليه من صفة" الودود المحب لأوليائه"[٣١].

نكتفي بهذا القدر من تجريب الفونيمات من الصوامت؛ نظرا لمحدودية صفحات هذا العمل، إذ لا يمكن تجريب كل الصوامت العربية، لنتحول بالكيفية نفسها إلى الصوائت، ممثلة بنموذج تطبيقي أيضا هو الصوائت القصيرة.

٢ـ الصوائت: الإحصاء والدلالة

- **صائت الضمة:**

تواترت الضمة في السورة٨٥مرة، وهي صائت يحمل دلالة القوة والثقل[٣٢]، وذلك بالنظر إلى ما يرافقه، من نظيريه الفتح والكسر؛ فالضم أثقل الصوائت وأقواها.

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل صفة الثقل، التي يتميز بها الضم مع سياق المصير المحتوم، وقوّة المشهد التعذيبي يوم القيامة، الذي تعبر عنه الآية العاشرة.

ولعل من القرائن الدالة على ذلك هو هي قرينة التكرار، حيث تكرّر لفظ العذاب مرتين، الذي حمل الفونيم، ليرتبط تارة بجهنم، وتارة أخرى بالحريق. فجسم الكافر المعذب للمؤمن، يثقل في النار نكالا بما كان يفعل.

ومن ثم فهذا الصائت بخصائصه الدلالية لم يخرج عما هو في الآية والسورة عموما، التي يسير وسياقها، وسبيل مضامنيها، التي أرادها الحق تبارك وتعالى درسا للمؤمنين صبرا وللكافرين عبرة.

- **صائت الفتحة:**

تواترت الفتحة في السورة١٣٥ مرة، وهي صائت يحمل دلالة الكثرة، فضلا عن السهولة الناتجة عن خفته؛ كونه أخف الصوائت، و أكثرها دورانا في اللغة العربية[٣٣].

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل صفة السعة، التي تحيل عليها الكثرة الآية(عشرون)، لتوافق عظمة الخالق، وقوته في تسيير الكون والمخلوقات.ومن ذلك الإنسان، الذي يخفى عليه أحد وما يعمل، حيث تكرر الصائت أربع مرات في الآية، وهي قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾[٣٤].

فكما يقول الطبري(ت٣١٠هـ)، مبينا معنى الآية، أنه محيط "بأعمالهم، محصٍ لها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيهم على جميعها"[٣٥].

- **صائت الكسرة:**

تواترت الكسرة في السورة٨٠ مرة، إذ يتميز هذا الصائت بأنه أخف كمًّا و أقل دورانا في اللسان العربي، وهو يدل على التواضع واللين والرقة وإظهار الضعف[٣٦].

ففي هذه الصفات ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل صفة الضعف الآية الثانية عشر، بقوله جل جلاله ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[٣٧]، أين تكرر الصائت ثلاث مرات.

ومن ثم ليوافق سياقها الدال على جزاء الكافرين، وهم تحت عذابه ضعفاء، حيث تعضد ذلك قرينة ما بعد الموصوف، إذ ورد الكسر في كلمة " ربك"، و هو الفاعل المقصود، صاحب القوة والعظمة.

كما أنه ورد في الوصف، أي كلمة "شديد"، بما يليه من مد طويل، الذي يستلزم مقامه طرفا ضعيفا، يخضع لقوة من يمارس الشدة عليه خضوعا طويلا.

سنكتفي بالصوائت الثلاث، رغم أن السكون، الذي يعدّ من الناحية الصوتية عدم محض، يمكن أن يقدم بدوره قيمة دلالية كصائت افتراضي، يدخل في علاقة تفاعلية مع الأبنية اللسانية للسورة النموذج.

٣ـ المقطع: الإحصاء والدلالة

يؤطر مفهوم المقطع الصوتي لدى الدارسين اتجاهين بدء بالنظرة العضوية، حيث يعرف بأنه " " خفة صدرية" على أساس أن الإنسان (...) يشعر بنوع من الضغط أو التأكيد emphasis عند النطق بالمقطع"(٣٨).

أما النظرة الثانية، فهي فونولوجية مفادها أنه " مزيج من صامت و حركة يتفق و طريقة اللغة في تأليف بنيتها، و يعتمد على الإيقاع النفسي"(٣٩).

وما يعنينا هو المفهوم الثاني الذي يشير إلى كمية من الأصوات، تشكل وحدة صوتية أولها صامت وتتبعه الحركة، بينما نهايته فتحيلنا على نوعين هما المقطوع المفتوح (open) والمقطع المغلق (closed)، حيث ينتهي الأول بحركة/ صائت، و الثاني بصامت.

ومن ثم يمكن التمييز بين عدة أنوع من المقاطع في العربية هي المقطع القصير المفتوح (ص ح)، و المقطع الطويل المفتوح (ص ح ح)، والمقطع القصير المغلق (ص ح ص)، والمقطع الطويل المغلق(ص ح ح ص)، و المقطع الزائد في الطول، سواء المديد (ص ح ص ص) أو المزيد(ص ح ح ص ص(٤٠).

ملحوظة: سنقوم بالتطبيق على الأنواع الثلاثة الأولى، باعتبارها الأكثر استعمالا في العربية الفصحى، أما النوعان الأخيران، فلا يتولدان إلا عن طريق الوقف.

- المقطع الأوّل:

الآكد أن تفاعل المقاطع الصوتية في الكلم العربي وفي التراكيب، على قدر جليل من أهميته في الدلالة، ومن ذلك الخطاب القرآني، الأعلى درجة في البيان و الفصاحة. وبدءً بالمقطع الأول المفتوح الآخر، فإنه يدلّ في عمومه على الحركة(٤١).

ففي هذه الصفة ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الآية الرابعة، ذلك أن القتل، يستدعي المواجهة بين القاتل والمقتول، وما يتم في المشهد من قوة

حركية؛ لإلقاء المؤمن بالكافر في جوف الأخدود المشتعل.

وهو ما يجسده تكرار المقطع، وحضوره القوي في الآية، حيث ورد أربع مرات، بنسبة ٤٤.٤٤٪ وذلك بناء على التقطيع الصوتي الآتي:

قُ=ص ح/cv تِ= ص ح/cv لَ= ص ح/ cv أصْ=ص ح ص/cvc

حا= ص ح ح /cvv بُلْ= ص ح ص / cvc أُخْ= ص ح ص/ cvc دو= ص ح ح /cvv دِ= ص ح/cv

وما يلاحظ أن ميزة التكرار، قد حدثت مع الفعل قتل، الذي ضم ثلاثة مقاطع أولى متتابعة، لتتجانس بذلك مع دلالته الحركية.

- المقطع الثاني:

يدلّ المقطع الثاني المفتوح أيضا (ص ح ح) في عمومه على الطول[٤٢]، ففي هذه الصفة ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الآية العاشرة، فتنسجم مع طول العذاب الذي يلحق الكافر، جزاء بما فعله بالمؤمنين من أصحاب الأخدود.

ولعل القرينة الدالة في المقطوعة القرآنية على هذا التجانس هو كلمة الحريق، ذلك أن الاحتراق، يعني التحول إلى رماد لا محالة؛ لصعوبة المقام" جهنم"، ولن يتم ذلك إلا بعد المكوث بها طويلا.

وهو ما يجسده تكرار المقطع في الآية، حيث ورد ٨ مرات، بنسبة١٩.٥١٪، وذلك بناء على التقطيع الصوتي الآتي:

إن= ص ح ص / نـــلْ= ص ح ص/ ل= ص ح/ذي=ص ح ح/ن=ص ح/ ف=ص ح/ ت= ص ح/ نــل= ص ح ص/مــؤ=ص ح ص/ م=ص ح/نــي=ص ح ح/ ن= ص ح/ول= ص ح ص/مؤ= ص ح ص/ م= ص ح/ نا= ص ح ح/ت= ص ح/ ثم= ص ح ص/ م=ص ح/ لم= ص ح ص/ ي= ص ح/ تــو= ص ح ح/ بــو= ص ح ح/ ف= ص ح/ ل= ص ح/ هـــم= ص ح ص/ ع= ص ح/ ذا = ص ح ح/ ب= ص ح/ ج= ص ح/ هـــنْ= ص ح ص/ ن= ص ح/ م= ص ح/ و= ص ح/ ل= ص ح/ هـــم= ص ح ص/

ع=ص ح/ ذا= ص ح ح/ بل= ص ح ص/ ح= ص ح/ ري=.ص ح ح/ ق = ص ح.

❖ المقطع الثالث:

على غرار المقطعين السابقين، فإن المقطع الثالث المغلق بخلاف سابقيه، يتفاعل في جانبه الأفقي الشاقولي مع ما هو مسجل في الخطاب القرآني للسورة، وما يترتب عن ذلك من دلالة جانبية ترافق العامة المركزية. فهو يحيل على الانقطاع(٤٣).

ففي هذه الصفة ما يكفل لنا التوافق الدلالي مع معطيات السورة، إذ تقابل الآية العاشرة كذلك، ومن ثم تنسجم مع السياق ذاته، حين تغلق أبواب النار على الظالمين، ليذوقوا فيها أشدّ العذاب.

وعليه ما يعني الانقطاع التام عن أي عالم آخر خارج عالم جهنم، و هو ما يجسده تكرار المقطع في الآية، حيث ورد ١٢مرات، بنسبة٢٩.٢٦٪، وذلك بناء على التقطيع الصوتي الآتي:

إن= ص ح ص / نـــلْ= ص ح ص/ ل= ص ح/ذي=ص ح ح/ن=ص ح/ ف=ص ح/ ت= ص ح/ نـل= ص ح ص/مـؤ=ص ح ص/ م=ص ح/نـي=ص ح ح/ ن= ص ح/ول= ص ح ص/مـؤ= ص ح ص/ م= ص ح/ نـا= ص ح ح/ت= ص ح/ ثـم= ص ح ص/ م=ص ح/ لم= ص ح ص/ ي= ص ح/ تـو= ص ح ح/ بـو= ص ح ح/ ف= ص ح/ ل= ص ح/ هـــم= ص ح ص/ ع= ص ح/ ذا = ص ح ح/ ب= ص ح/ ج= ص ح/ هـــنْ= ص ح ص/ ن= ص ح/ م= ص ح/ و= ص ح/ ل= ص ح/ هـــم= ص ح ص/ ع=ص ح/ ذا= ص ح ح/ بل= ص ح ص/ ح= ص ح/ ري=.ص ح ح/ ق = ص ح.

ولعل من المفارقة الدلالية ابتداء الآية بهذا المقطع الصوتي، مقرونا بتأكيد، بواسطة الحرف "إنّ"، وذلك-في اعتقادنا- تأكيد على ذلك الوضع الانقطاعي، على سبيل المقاربة الافتراضية.

غلق منهجي:

بعد هذه الدراسة الصوتية التطبيقية في ثنايا الخطاب القرآني المقدّس لسورة البروج، ضمن رؤية المنهج البنيوي، نخلص إلى جملة من النتائج المعرفية، التي نختزلها في النقاط التالية:

- تؤكد الأصوات النظرية البنيوية؛ كونها تجسد الشكل البنيوي؛ بالانصهار مع التركيب، ضمن ما يعرف بعلم الأصوات الوظيفي، أو التشكيلي مجال الدراسة.
- أثبتت الدراسة أن للصوامت وللصوائت أثر بين في تحقيق التنوع الدلالي، وفق يتناسب وسياق المدونة اللغوية.
- أثبتت الدراسة أن المقطع الصوتي هو الركيزة الأساسية لبناء الوحدات التركيبية للخطاب القرآني، فضلا عن قيمته في توجيه الدلالة.

وأخيرا أثبتت أيضا مدى دقة اللسانيات كعلم مستقل، له أسسه النظرية و إجراءاته التطبيقية، بدليل انسجام معطياتها الصوتية مع معطيات النموذج الخطابي العملي.

هوامش البحث ومصادره

إن خير ما نبتديء به القرآن الكريم

١. محمد علي عبد الكريم الرويني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط٢٠٠٩، ص١٢٠.

٢. ميشال زكريا: الألسنية علم اللغة الحديث-قراءات تمهيدية، نقلا عن الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، ٢٠٠١، ص٧٠.

٣. الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، ص.ن.

٤. ثامر إبراهيم المصاروة، المنهج البنيوي(دراسة نظرية)، الموقع الإلكتروني:

https://nasershehan.blogspot.com/2013/10/blog-post_6854.html

نشر يوم الجمعة ٤ أكتوبر ٢٠١٣، تاريخ الدخول إليه: يوم ٢٤أفريل ٢٠٢١.

٥. مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٥، ص٢٤-٢٥.

٦. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ص٢٣٦.

٧. ينظر: حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة،.ط١، ١٩٩٩، ص٢٣. وينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٠، ص٢٨٨.وينظر:أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٧، ص٣٤٥.

٨. ينظر: علي حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، دار شموع الثقافة، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط١، ٢٠٠٣، ص.٦٧

٩. سورة البروج، الآيتين ٥-.٦

١٠. ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٣٤٥.

١١. جار الله أبي القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨، ج٦، ص٣٤٨.

١٢. ينظر: حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص٢٢. وينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص.١٨٣

١٣. ينظر: علي حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء و المحدثين، ص٥٩.

١٤. ينظر: محمود عكاشة، أصوات اللغة: دراسة في الأصوات و مخارجها و تماثلها و تخالفها بين القدماء والمحدثين، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧، ص٤٤.

١٥. سورة البروج، الآية.١٩

١٦. نخبة من العلماء، التفسير الميسر، دار ابن الجوزي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص٥٩٠.

١٧. أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بمشاركة: كامل محمد الخراط، ماهر حبوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦، ج٢١، ص١٩٨.

١٨. ينظر: علي حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء و المحدثين، ص.٦٢

١٩. ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص٢٤٩.

٢٠. ينظر: حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص٢٨.

٢١. سورة البروج، الآية ١٠.

٢٢. حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص.٣١

٢٣. ينظر: علي حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء و المحدثين، ص٦٧.

٢٤. ينظر: المرجع نفسه، ص، ن.

٢٥. سورة البروج، الآية٤.

٢٦. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، القاهرة، ج ٦، ٢٠٠٣، ص.٣٨٧٣

٢٧. ينظر: علي حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء و المحدثين، ص٦٦.

٢٨. ينظر: المرجع نفسه، ص، ن.

٢٩. ينظر: علي حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء و المحدثين، ص٦٢.

٣٠. ينظر:المرجع نفسه، ص، ن.

٣١. نخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص٥٩٠.

٣٢. ينظر: مرني صنديد محمّد نجيب، كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص-قراءة في إعادة إنتاج الدلالة من تفاعل العناصر اللسانية، مجلة إحالات، المركز الجامعي مغنية، العدد٣، جوان، ٢٠١٩، ص.١١٩

٣٣. ينظر، المرجع نفسه، ص، ن.

٣٤. سورة البروج، الآية٢٠.

٣٥. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ج ٢٤، ص٢٨٥.

٣٦. ينظر: مصطفى حبيب شريقن، مناسبة المباني للمعاني في العربية، مجلة مقاليد، ورقلة، العدد١٠، جوان٢٠١٦، ص٢٤٢.

٣٧. سورة البروج، الآية ١٢٠

٣٨. كمال بشر، علم الأصوات، ص٥٠٤.

٣٩. عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٠، ص٣٨.

٤٠. ينظر: علي حسن مزبان، علم الأصوات بين القدماء و المحدثين، ص٩١-٩٣.

٤١. ينظر: مرني صنديد محمّد نجيب، كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص- قراءة في إعادة إنتاج الدلالة من تفاعل العناصر اللسانية، ص١٢١.

٤٢. ينظر: مرني صنديد محمّد نجيب، كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص-قراءة في إعادة إنتاج الدلالة من تفاعل العناصر اللسانية، ص١٢١.

٤٣.ينظر: المرجع نفسه، ص، ن.